لقاءات بعنـوان

واستعينوا

بالصبر والصلاة

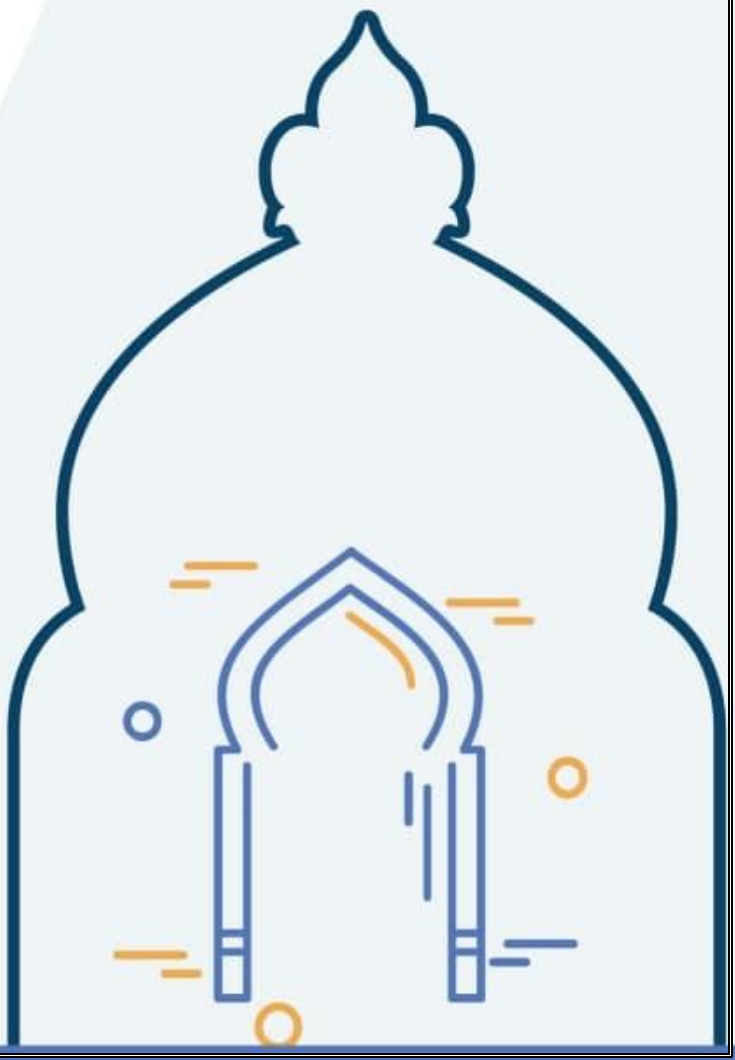

أ. أناهيد بنت عيد السميري

غفر الله لها ولوالديها

بسم الله الرحمن الرحيم

تقدّم لكم مدوّنة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ) تفاريغ من دروس الأستاذة الفاضلة

أناهيد بنت عيد السميري حفظها الله

ونسأل الله أن ينفع بها.

https://anaheedblogger.blogspot.com/

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسّنة على فهم السّلف الصالح.
- هذه التّفاريغ من عمل الطّالبات ولم تطّلع عليها الأستاذة حفظها الله.
- الكمال لله -عزَّوجلَّ-، فما ظهرلكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهرلكم من خطأ فمن أنفسنا والشّيطان، ونستغفر الله.

والله الموفّق لما يحبّ ويرضى.

اللقاء الأول الأربعاء ٨/ ٧ / ١٤٤٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

بسم الله توكلنا على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، نشكر وحدة الأنشطة الطلابية في كلية العلوم على هذه الاستضافة التي نسأل الله عز وجل أن يكون فيها النفع والخير وأن يكون هذا الموضوع سبب من أسباب صلاح أنفسنا وصلاح حياتنا اللهم آمين.

موضوعنا بإذن الله حول هذه الجملة القرآنية العظيمة {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ}[1] ، هذه الجملة القرآنية التي لو تأمل فيها المتأمل وجدها **العلاج النفسي لكثير من الأزمات** التي يمرّ بها الإنسان خاصة الشباب في حياتهم، كثير من الأزمات التي يمرّ بها الناس يكون سببها هو التخلي عن استعمال هذه القاعدة في شؤونهم كلها، فتجد الطّيش، وتجد الفشل، والاكتئاب وتجد جلْد النفس، وتجد من أنواع الوساوس، ومن أنواع الإيذاء الشيطاني للإنسان، ومن أنواع احتقار الذات ونعمِ الله التي أنعم بها على الإنسان شيء كثير، وكل هذا يدور بسبب أن الإنسان ما استعان بالصبر والصلاة.

---

(١) [سورة البقرة:٤٥]

وقد أخبرنا رب العالمين {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ}[1] يعني الاستعانة بالصبر والصلاة خاصة أمر كبير، هذه قاعدة قليل جدًا المنتفعين بها، لكنها تنفع قوم خاصين، وهنا سيكون الكلام عمّن تنفعهم هذه القاعدة لكي ينجحوا في حياتهم ولا يحصل لهم الفشل المتكرر ولا يحصل لهم الملل ولا يحصل الكسل، ولا يحصل لهم الاكتئاب واحتقار نعمة الله، لكيلا يحصل هذا كله لهم لا بدّ أن يطبّقوا هذه القاعدة، **لكن هناك أُناس سيسهل عليهم تطبيق القاعدة دونًا عن أناس.**

من هم هؤلاء الذين سيسهل عليهم تطبيق القاعدة؛ وهي الاستعانة بالصبر والصلاة في كل حياتهم وجعلها طريقة لتفكيرهم ولمعالجة أمورهم؟!

هذه الطريقة لن تنفع إلا أُناس: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[2] وهنا {الَّذِينَ يَظُنُّونَ} بمعنى يتيقنون، فالظن من الكلمات المتعاكسة التي تستخدم في المعنى وضده.

على كل حال هؤلاء الذين سينتفعون بهذه المسألة العظيمة وهي **قاعدة الاستعانة بالصبر والصلاة** هم الذين حصل في نفوسهم فهم للحياة؛ فتوجهوا التّوجه الصحيح وهم يتعاملوا معها، وهذا يجعل الإنسان في مكان والذي لا يعرف هذا في مكان آخر.

وهنا ركّزوا معي القاعدة الذهبية للصلاح النفسي وللنجاح والفلاح هي {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} وهذا أمر ليس باليسير

---

(١) [سورة البقرة:٤٥]

(٢) [سورة البقرة:٤٦]

إلا على قوم خاصين سماهم الله الخاشعين وهم {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ} يعتقدون أي يتيقنون {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

عندما نعلم أننا سنلاقي ربنا وأننا إلى ربنا راجعون ما السر الذي في هذه المعرفة اليقينية الذي يجعلنا ننجح أن نستعين بالصبر والصلاة؟

علينا أن نعلم أن الإنسان إذا عرف أنه في الحياة مارًا مرورًا سريعًا وأنها ليست دار القرار وأنه ليس غارقًا في الدنيا، والدنيا لا تستطيع أن تطحنه بأمورها وشؤونها وإنما **إيمانه بالغيب ومعرفته للقاء ربه ويقينه** بهذا وانشغاله بذاك اللقاء العظيم واستعداده لذاك اليوم المهم بحيث يكون **لقاء الله والتّزين لهذا اللقاء** هو **مركزية الحياة**، بحيث أن تكون كل **النجاحات** وكل **الفوز** تقديره إنما يكون في ذلك اليوم العظيم؛ يعني النفس من أجل أن تستقيم، ومن أجل أن تجد النجاح والفلاح ،ومن أجل أن تذوق طعم السّكينة والهدوء لا بدّ أن تكون **متيقّظة، متبصرة، متأملة** في مشوارها الذي تقطعه بالأيام والليالي.

إلى أين ستصل؟ وما هو الذي يجب أن يشغلها في خلال هذه المسيرة؟

فإذا كان نظرها إلى العلو وعندها بُعد نظر، وها هي تعرف وظيفتها فلا تطحنها الحياة، ولا تخوض فيها خوض الشّاعر أنها

نهاية المطاف وإنما تنظر للحياة من بعيد وترى مسيرتها لتصل إلى غايتها، فتكون **المركزية** عندها **هي الآخرة والدنيا هي المعبر**.

هذا ما يجب أن نؤكد عليه قبل أيّ كلام وأيّ شرح لهذه القاعدة الذهبية، وكيف استعمالها في حياتنا اليومية، قبل هذا لابدّ للنفس أن تكون مستعدة والأمر فيها واضح أن **مركز التفكير هناك عند ربّ العالمين**، الطهارة والجمال وطلب الكمال والإحسان والتّزين وملاحظة النظر كل هذا لرب العالمين وللقائه.

وهنا يأتينا أثر من الآثار يعيننا في الحياة على جعل الآخرة ولقاء الله هو شاغلنا، بل الآثار كثيرة لكن لنأخذ هذا ونفكر فيه؛ في الأثر أن **[ما مِن عبدٍ إلَّا له صِيتٌ في السَّماءِ، فإذا كان صِيتُه في السَّماءِ حَسَنًا وُضِع في الأرضِ، وإذا كان صِيتُه في السَّماءِ سيِّئًا وُضِع في الأرضِ]**

هذا معناه أن كلٌ منا له سمعة في السماء، **من أين أتت هذه السمعة؟**

من تصرفاته في الأرض، من سيره في الأرض، إذا كنت **مركّز في الحياة** وعرفت أن صدى تصرفك في الأرض سمعة في السماء، إن كان تصرفك في الأرض حسنًا كانت سمعتك في السماء حسنًا، وإن كان تصرفك في الأرض سيئًا فسمعتك في السماء سيئًا، فمن يفكر بهذه الطريقة سيكون شاغله سمعته في السماء.

يؤيد هذا الأثر الحديث المشهور «إنَّ اللَّهَ إذا أحَبَّ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فقالَ: إنِّي أُحِبُّ فُلانًا فأحِبَّهُ، قالَ: فيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في السَّماءِ فيَقولُ: إنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلانًا فأحِبُّوهُ، فيُحِبُّهُ أهْلُ السَّماءِ، قالَ ثُمَّ يُوضَعُ له القَبُولُ في الأرْضِ»

وفي الجهة المقابلة: «وإذا أبْغَضَ عَبْدًا دَعا جِبْرِيلَ فيَقولُ: إنِّي أُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضْهُ، قالَ فيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنادِي في أهْلِ السَّماءِ إنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ فُلانًا فأبْغِضُوهُ، قالَ: فيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ له البَغْضاءُ في الأرْضِ»[1]

إذن أنت في الأرض، وأعمالك تصعد إلى السماء، **فإذا انشغلت بصعود أعمالك إلى السماء**، وانشغلت بهذا الذي سيحصل بعد صعود الأعمال وما يترتب عليه من أثر في الدنيا ثم سيكون أثره في الآخرة عند لقاء الله شيء أعظم وأعظم، فتصوروا **أن العبد يأكل الأكلة التي هي من نعمة الله ومن عطاء الله فيحمد الله عليها، ويشرب الشّربة فيحمده عليها، ماذا يحصل؟**

في أول الحديث: «إنَّ اللَّهَ ليَرضى مِن العبدِ أن يأكُلَ الأَكلَةَ فيحمَدَهُ عليها ويشرَبَ الشَّربَةَ فيحمَدَهُ علَيها»[2] ، يعني تصوّر أن الله يحب هذا الإنسان الذي إذا أكل أو شرب حمد الله، يعني تأكل غداءك أو عشاءك وتشرب ماء، فهذا الأكل والشرب عندما تتذكر

---

(١) الراوي: أبو هريرة | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٦٣٧ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

(٢) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: مسلم | المصدر: صحيح مسلم الصفحة أو الرقم: ٢٧٣٤ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

أن الله هو المتسبّب بهذه الأكلة والشربة وأنه هو الذي أكرمنا بهذا العطاء وتحمده يرضى الله عنك، يرضى عنك **ما معناه؟**

يعني يحبك، إذا قلت في نهاية الطعام وأنت مستحضر لهذا المعنى، متيقن به، **مشغولًا** بما سيكون عند ربنا، فتقول الحمد لله فأنت ستكون ممن يرضى الله عنهم، ممن يحبهم الله.

فتصور كيف يكون حال انشغال العبد بالله، وكيف يكون **هذا الذي يفكر دائمًا، ما أثر هذا الفعل؟ ما أثر هذا التصرف مني عليّ عند الله؟ كيف سيكون حالي لمّا ألقى الله؟!**

فتصور كيف يحصّل الإنسان محبة الله بأمور يسيرة، وكيف كلما انشغل الإنسان بهذا الأمر كلما زاد شأنه وارتفعت مكانته من أجل ماذا؟ من أجل أنه مشغول، بأيّ شي؟ بيقينه {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}[1]

فلا يمكن أن تنفعنا كل الأعمال، إلا إذا كان **هذا اليقين موجود** وهذا الحسبان دائمًا على الخاطر، ودائمًا الإنسان يفكر في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «**ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ**»[2] كل إنسان يكلمه الله ليس بينه وبينه ترجمان، سيأتي هذا اليوم يقينًا، فماذا ستقول لرب الأرض والسماء إذا لقيت الله؟ إذا شغلتك هذه الأمور ستنفعك

---

(١) [سورة البقرة:٤٦]

(٢) الراوي: عدي بن حاتم الطائي | المحدث: البخاري | المصدر: صحيح البخاري الصفحة أو الرقم: ٦٥٣٩ | خلاصة حكم المحدث: [صحيح]

هذه القاعدة وستستمر وتنجح في الحياة، وسيكون أثر هذه القاعدة على حياتك طمأنينة وسكينة وهدوء لأنك منفصل عن الحياة متصل بها اتصالًا مشروعًا، تعلم أن **الحياة قاعة اختبار**، وأن كل تعلّم في الحياة يحتاج إلى **صبر**، وكل إجابة صحيحة تحتاج مع الصبر إلى **استغاثة بالله**.

نحن في اختبار عظيم سينتهي ونلقى الله، سينتهي الاختبار ونذهب عند الله ويذّكرنا الله ويقول عملت كذا وكذا، نلقى الله ويكلمنا ما بيننا وبينه ترجمان، فلابد أن تتصوروا كيف التعامل مع قاعة الاختبار التي نعيشها والتي لا بد أن تنتهي بعد زمن لأنه لا يمكن للإنسان أن يعيش كل الحياة وهو في الاختبار، ولذلك تصور قوله تعالى {**يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ**}[1]أنت ساع مجتهد في الذهاب إلى الله ،ومعك إجاباتك، ومعك ما كتبته في اختبارك، تسير مع أنفاسك سريعًا، **أنفاسك خطاك إلى أجلك**، فأنت سائر إلى الله وليس أيّ سير أنت كادح، هناك جهد في النفس والعمل، فلا بد أن يكون تعبك وعملك هذا ينفعك، لا تجعله عليك وليس لك، كل الناس بدون استثناء كادحين وهم سائرين، **لكن أنت اجعل هذا الكدح يسيرًا واجعل هذا السير صحيحًا**، **واجعل سعيك وعملك وجهدك لنفسك** بحيث أنك تصل مع هذا الجهد والكدح العظيم **و أنت ناجٍ** لأن نهاية كدحك لقاء ربك وسينكشف لك إن كنت في سيرك إليه قد

---

(١) [سورة الانشقاق:٦]

استعنت بالصبر والصلاة ،واجتهدت اجتهاد من يسابق إلى الله، أو كنت الطرف الثاني والعياذ بالله، سينكشف عند اللقاء من سعى غاية السعي للنجاة، واعلموا أن الليل والنهار مطيتنا، ومن كان الليل والنهار مطيته أوصلاه بلا شك إلى منتهى سفره شاء أم أبى.

فأنت ماذا تفعل لتكون ناجح؟

لابد في سيرك هذا وفي اجتهادك هذا لتنجح في الاختبار **استعن بالصبر والصلاة**، من أيقن أنه لا بدّ له من العرض على الملك العظيم **أفرغ جهده في العمل بما يحمده عليه عند لقائه**، لكن لا بدّ أن نعلم أن كدحنا وسعينا ما تركنا ربنا لوحدنا ولا كلفنا ما لا نستطيع، بل كانت هذه القاعدة الذهبية، ما هي؟ **الاستعانة بالصبر والصلاة**، فالإنسان صاحب الإيمان إذا نظر للحياة ورأى أنها لا بدّ من كدح ومشقة وتعب فيها من أجل أن يكون فيها سعادة وفيها هناء رأى ما هي الغاية العظمى وفكّر أن كل من أراد غايات اجتهدُ اجتهاد، ورأى أن الناس يحصلون على الدرجات بالاجتهاد ويرتفعون في مراتب الدنيا بالاجتهاد، وهو عندما نظر تخطّاهم جميعًا ورأى ما وراءهم وعلم أن الناس كلهم لا يمكن أن يصلوا إلا عندما يجتهدوا، فقال هذا الإنسان الذي علم الحقيقة وأنه ملاقٍ ربه وعرف أنه لربه راجع قال فليكن اجتهادي وتعبي وبذلي وجهدي لغاية سامية، فقيل له ولأنك اخترت هذا وكان منك سمو في طلبك وفي كدحك وفي مقصدك من وراء هذا الكدح، فها هي الإعانة قد

أتتك، وها هي النصيحة توصلك إلى ما تريد {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} لكي تكون من الناجحين الموفقين الواصلين.

فرأيتم الآن بناء على كل هذا النقاش أن الإنسان لا يستطيع أن يستفيد من هذه القاعدة الذهبية في إصلاح نفسه وحياته ورضاه عن ربه واجتهاده في السير إليه **إلا إذا جعل لقاء الله هو مركز تفكيره**، إذا فعل هذا ستكون هذه النتيجة وهي أنه سيستفيد مما خُلق عليه وسيستفيد مما أُرشد إليه، فإلى أيّ شيء أُرشد؟ لقد أُرشد إلى الضابط الذي يضبط سلوك الإنسان بتفاصيل سلوكه؛ في فرحه وفي ترحه، في خوفه وحزنه، وفي خلاف ذلك.

هذا مما يجب أن نفهمه ونعرفه ونطلبه أن يكون عندنا في تفاصيل حياتنا ما يضبطنا، فإذا فهمنا هذا استعنّا بالصبر الذي يؤدبنا، ويبلغنا أعلى المراتب، انظر هذا الصبر قد مُدح مدحًا عظيمًا {إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ}[1] فجعل فوزهم جزاء صبرهم، والله يقول {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[2] ولا شيء يعدل معية الله.

لذلك كان يقول السلف الصالح: (ذهب الصابرون بخيري الدنيا والآخرة لأنهم نالوا معية الله)، والله عز وجل يقول {وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا}[3] فكان من آثار الصبر الحراسة والكلاءة

---

(١) [سورة المؤمنون:١١١]

(٢) [سورة البقرة:١٥٣]

(٣) [سورة الطور:٤٨]

والحفظ، وقد وُعد الصابرين بثلاثة أشياء كل منها خير من الدنيا وما عليها وهي صلاته عليهم ورحمته لهم وتخصيصه لهم بالهداية {أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ}[1].

والله عز وجل قد أخبر أن الصبر من عزم الأمور في آيتين من كتابه، وهذا **الصبر نتائجه صلاح النفس واكتساب الفضائل**، فالإنسان عندما يحبس نفسه عن الانفعال والغضب، ويحبس نفسه عن ردود الفعل المباشرة ويحبس نفسه عن الاستجابة للمثيرات، ويحبس نفسه عن الدخول في كل أمر يفتح له بدون أن يفكر، سيجد نفعًا له في دنياه وفي أخراه.

على كل حال هذا موضوع مهم وعظيم ومن ورائه خيرات وبركات، فالإنسان العاقل يجد أن الاستعانة بالصبر توقع له بالإضافة إلى الأجر أنه صبر توقع له الحكمة وتوقع له السلامة وتوقع له النجاح، ونحن نرى كثير من الناس يدخل مشروع مثلا وقد اقترب أن ينتفع به، يمل ويخرج منه، لا يتحمل المشقة ليصل للمقصود فيفوته خير كثير، كثير من الناس يبدأ أعمال يرى أنها مفيدة له، وهي حقًا مفيدة له، فيبدأ ثم لا يلاقي مقصوده بسرعة فيمل ويترك ولا يتصبّر، وهذا نجده في كل أمورنا؛ الطلاب وهم يتعلمون، الآباء وهم يربون، العاملين وهم ينجزون المشاريع، فنجد أن كثير من الناس **يمرّ عليه وقت في عمله ثم يُفسده بعدم الصبر**، فيكون ضاع عليه زمن ربما يكون كثيرًا، ولمّا يتركه ويدخل في الثاني سيفعل نفس

---

(1) [سورة البقرة:١٥٧]

الفعل، وتمضي عليه الحياة بلا فائدة، **لكن إذا صبر** وتخلّق بهذا الخلق ومهما لحقه الملل دافعه واعتبره من وساوس الشيطان، فيلحق خيرًا كثيرا.

لكن يجب أن نعلم هنا أن هذا خُلق يحتاج **أن نتعلمه**، ويحتاج أن **نُدرب** أنفسنا عليه، ونحتاج أن نوازن دائمًا الفرق بين صبرنا وعدم صبرنا، ونفكر هل إذا حبست لساني الآن عن هذه الكلمة وصبرت سأخسر أم أكسب؟ هل إذا حبست نفسي الآن على هذا العمل ماذا سيحصل لي؟ سأخسر أم أكسب بعدها؟ إذا فكرت في إنجاز مهمة لابدّ **أن أجعل نفسي مهيأة للسّير في هذه المهمة** على مراحل وأطالب نفسي بالصبر، ولا أستجيب لوساوس النفس ولا لمللها ولا لكسلها ،ولا أستجيب لوساوس الشيطان الذي يسبب للناس الحرمان من خيرات كثيرة الله عز وجل رزقها للخلق، وأبواب كثيرة للنفع ستعود على الإنسان في دنياه وأخراه بنفع عظيم، إذن هذا خلق علينا أن نتخلّق به وعلينا أن نطلبه وعلينا أن نبذل جهودنا لأن يكون من سياسة حياتنا من أجل ألّا يفوتنا خير كثير، وسنرى أن مما يعين على الصبر الصلاة، وما يعين على النجاح أن نكون بالله مستغيثين وعليه متوكلين وله راغبين وسائلين، **فتكون هذه الثنائية سبب لصلاح الإنسان**.

في هذا اللقاء ذكرنا الأمر بالإجمال، وإن شاء الله في اللقاء القادم نأخذ وقت أكثر لشيء من التفصيل.

جزاكم الله خيرا، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللقاء الثاني الأربعاء ١٥/ ٧/ ١٤٤٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا، الحمد لله الذي علّمنا كيف نعيش هذه الحياة، علّمنا حتى لا نغرق في بحرها، ولا نتوه في برها، علّمنا كيف نسير متفائلين مستصحبين وظيفتنا إلى أن يأتي يوم الدين، يوم يظهر فيه سرائر العالمين، يظهر فيه حال الصابرين، الواثقين، الراضين، المتفائلين، المحسنين الظن برب العالمين، يوم عظيم سيأتينا سيكون فيه ثمار صبْرنا وصلاتنا ودعائنا ورجائنا، وقد كنا بفضل الله نعيش واثقين في رب العالمين، محسنين الظن فيه، فالحمد لله الذي علّمنا عنه علمًا يورث حسن الظن، وأدّبنا أدبًا يجعلنا من محسني الظن، وأرشدنا في كتابه إرشادا يثبّت أقدامنا على حسن الظن.

ومِن هذا هذه القاعدة التي هي من أعظم ما يُذكر ويقال، ومن أعظم ما يتواصى به أهل الإيمان، وهي قوله تعالى: {**وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ**}، وهذه الآية العظيمة الكريمة تكررت في سورة البقرة، مرة في سياق مخاطبة بني إسرائيل، ومرة كان الخطاب مباشر لأهل الإيمان.

✓ ففي خطاب بني إسرائيل قال عز وجل: {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}[1]

✓ وفي خطاب أهل الإيمان قال عز وجل: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ}[2]

ما أعظمها من أخبار! وما أجلّها من علوم! يا ليت قومي يعلمون كيف أن رب العالمين أصلح النفوس بهذه الأوامر العظيمة، وكل من أراد أن تصلح نفسه، ويهدأ قلبه، وينشرح صدره، وتذهب عنه همومه، فليمتثل هذا الأمر.

ونلحظ أن في الأمر الأول، وهو في سياق الإخبار عن بني إسرائيل، أن رب العالمين أخبر أن هذا الأمر يسير وكبير؛ يسير على الخاشعين، كبير على من ليسوا بخاشعين.

وهنا لا بد من الابتداء بهذه المسألة لكي ننفذ إلى هذه الوصية..

من هم هؤلاء الخاشعون الذين وصف رب العالمين أن الأمر سيكون عليهم يسير؟

عرّفنا رب العالمين من سيتخلق بهذا الخلق، إنهم القوم الذين يظنون، وهنا يظنون بمعنى يتيقنون، القوم الذين يظنون أنهم

---

(١) [سورة البقرة:٤٥]

(٢) [سورة البقرة:١٥٣]

ملاقو ربهم وأنهم إليه راجعون، هذه الجملة يمكن اختصارها ثم التفريع عليها فروعا عظيمة؛ **إنها مركزية الآخرة**.

الذي سينتفع من هذ القاعدة وتصلح نفسه بهذه القاعدة، ويخرج من الأزمات بها، ويصل إلى رقي في نفسه وإلى ثبات في طريقه بهذه القاعدة، لا بد أن يكون ممن تمركز حول الآخرة؛ لأن الدنيا لا يمكن أن تكون للإنسان المؤمن مقرًّا ولا مستقرًّا، الدنيا كلها لا تسع المؤمن، بل المؤمن واقف ينظر إلى الدنيا بعين من يعرف حقيقتها، ينظر إلى الدنيا بعين من يبحث عن الصراط المستقيم ليمرّ فوق جسر الدنيا فَيَصِل إلى جنات النعيم.

هذا المتيقّن بلقاء رب العالمين تراه يدور في تفكيره وقراراته وأموره على تلك الساعة التي يلقى بها ربه، لذلك هؤلاء الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وصلوا في درجة اليقين في ثوان كثيرة من حياتهم -وإن كانت متفرقة لكنها تأتي ببرد اليقين- أن يعبدوا الله كأنهم يرونه، وكأنما رأوا اليوم الآخر، هؤلاء هم الذين ستكون لهم القاعدة هناء وسعادة ولذة ومتعة وراحة وقرة عين.

وقد قال أهل التربية فيما مضى: "**يبدأ المؤمن حاملا وينتهي محمولا**"؛ يبدأ في بداية الأمر مع الأمور التي يتكلفها في الحياة يحملها، ويشعر في بداية الحياة وبداية المعركة أنها ثقيلة، يحمل الأمور، ويشعر أنها تكاليف وأن فيها مشقة، ثم يستعمل هذه

القاعدة {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} يستعملها فتدخل الراحة إلى قلبه رويدا رويدا، وأصبحت هذه الأعمال التي كانت ثقيلة جزء من هويته وحقيقته وشخصيته، فكما أنه لا يستطيع أن يعيش بدون أن يتنفس، فهو لا يستطيع أن يعيش العيشة الهنية الراقية المطمئنة بدون ما يكون صابرا، مصليا، مناجيا، متصلا بربه.

هذه سيما أهل الإيمان الذين يوقنون بالله وباليوم الآخر وبالرجوع إلى الله، ولولا هذا اليقين ومركزية الآخرة في نفوسهم ما استطاعوا، هم ولا غيرهم أن يسيروا في الحياة.

الحياة عند أهل الإيمان إنما هي ممر، لذلك لا تجد المؤمن غارقا فيها، ولا تجده في أوحالها وأقذارها، بل تجده عاليًا عليها، مارا من فوقها، لا تستطيع أن تستوعبه الدنيا وهو يفهم الدنيا ويجعلها ممرا للآخرة، يا له من شأن عظيم!

الناس اليوم ابتلاءهم كلهم الشكوى من نفوسهم، ومن ضيق في صدورهم، ومن أزمة يمرون بها ومن خوف يشعرون به، والمؤمن كلما فهم هذه القاعدة، كلما انشرح الصدر وهانت الأمور ويكون أهدأ ما يكون، ويكون أحسن ما يكون، ويكون متفائلا غاية التفاؤل.

لذا هذه القاعدة {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} كأنها تقول لنا هذه جرعة من التفاؤل ارتووا بها وتجاوزوا بها المحن.

في هذا اللقاء سنركز على نتيجة استعمالنا للقاعدة، وفي اللقاءات القادمة إن شاء الله نتناقش في طرق مجملة توصلنا إلى هذا الأمر، لكن هنا يجب أن نفكر من هذا الذي سيستطيع أن يستعين بالصبر والصلاة؟ وما هي النتيجة لو استعان بالصبر والصلاة؟

من هو؟ كما تبين، الذي يستعين بالصبر والصلاة الذي مركزيته الآخرة، الذي يعرف وظيفته، الذي يقول أنت ربي وأنا عبدك، الذي ينتظر لقاء مولاه، الذي يشتاق إلى ذاك اللقاء، أو يساعد نفسه على ذلك، يجب أن تكون الآخرة على باله.

أول أمر لكي يكون هذا الصبر والصلاة في موضعه بالنسبة للإنسان **لابد من زيادة اليقين بالآخرة**، هذا شرط! إذا زاد يقين الإنسان بالآخرة تحقق للإنسان الانتفاع من هذه القاعدة.

إذن على كل من أراد أن تهدأ نفسه ويذهب ما فيها من خوف، أيا كان نوع الخوف من أمور الدنيا، ويذهب القلق ويذهب الاضطراب، ويذهب عنه الشعور بالفشل الدائم، أو بالإخفاق، عليه أن يجعل الآخرة على باله، ويحمل همها، وليعرف أن الفوز الحقيقي هو الفوز هناك، وبهذا تهون الأمور.

إذا شعر الإنسان بيقينه بلقاء الله، وشعر بأنه لا بد أنه سيتجاوز هذا كله، إذا شعر بهذا وانشغل بهذا، سيبدأ التفاؤل

يدب إلى قلبه، وستبدأ الأمور التي كانت عظيمة وكبيرة تصغر أمام عظمة الله، وأمام كمال الله، وأمام الثقة بالله. وقد ذكر صاحب كتاب الفرج بعد الشدة أبياتا لعبد الله بن الزبير يقول فيها

لا أَحسِبُ الشَرَّ جاراً لا يُفارِقُني ** وَلا أَحُزُّ عَلى ما فاتَني الوَدَجا

وَما نَزلتُ مِن المكروهِ مَنزِلَةً ** إِلّا وَثِقتُ بأن أَلقى لَها فَرَجا

والودجا: عرقان يقطعهما الذابح.

هذه الأبيات يصف فيها عبد الله بن الزبير رضي الله عنه حسن ظنه بربه وجميل ظنه بتفضله، وأنه قد جرب وتبصر وعرف من أعقاب الأمور ما جعله لا يذل لنائبة، لما تأتي نائبة تنوبه لا ينهار، فلا يذل لنائبة ولا يتخشع لنازلة؛ لأنه لا يظن الشر إذا بُلي به أنها ضربة لازم لا يخالف، وجار سوء لا يفارق؛ لا أحسب الشر جارا لا يفارقني.

أيضا يقول وإذا فاتني أمر وإن جل لا أهلك أسى في أثره ولا أقتل نفسي جزعا لفوته، ولا أحزن على ما فاتني الودجا، بحيث أني أقتل نفسي.

وَما نَزلتُ مِن المكروهِ مَنزِلَةً ** إِلّا وَثِقتُ بأن أَلقى لَها فَرَجا

كأنه يقول ولا ينزل بي من المكروه إلا وثقت بأن ألقى وراءه الفرج، وأن هذا الفرج قريب جدا. فانظر إلى حسن الظن بالله! وانظر

كيف يعيش الإنسان تحت مشاعر {إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا}(١) ، كيف يعيش الإنسان حقيقة {سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا}(٢) ، كيف يكون في القلب يقين بالله رب العالمين وتصديق لنبينا ﷺ، وكيف أن النبي ﷺ كان يعجبه الفأل، وهذا المعنى في الحقيقة لا يصلح إلا لأهل الإيمان، فإن أهل الإيمان هم الذين يتسلُّون بذكر لقاء رب العالمين، وبذكر أن الدنيا ممر، وبذكر أن ضيقًا لا يبقى، وبذكر قرب رب العالمين، وهذا كله يدفعهم أن يستعملوا هذه القاعدة في حياتهم، قاعدة الصبر والصلاة التي تأتي بكل خير.

لكن الناس الذين يضعف إيمانهم، ولا يكون في قلبهم ثقة برب العالمين، ولا يعرفون الله، تجد التشاؤم هو قائدهم، لذلك أول ما تنزل بهم نازلة يشعرون أن الدنيا أُغلقت، وهذا يمكن أن يكون الشعور الأول والإنسان يدافعه، لكن هذا الموضوع يستمر معهم ويصلون إلى حد أن يتخلصوا من حياتهم! فهؤلاء لا يجدون لهم منفذا إلى التفاؤل، ولو حصل لهم تفاؤل يسرقونه من جيرانهم المؤمنين، لأنهم لما يسيئوا الظن برب العالمين لا يوجد طريق للتفاؤل لهم، لذلك يقول أحد الشعراء:

أتيأس أن ترى فرجا   فأين الله والقدر!

---

(١) [سورة الشرح:٦]
(٢) [سورة الطلاق:٧]

أين إيمانك بالله والقدر؟ فالإنسان لما يكون خاشعا متيقنا، ستكون هذه القاعدة نافعة له.

ثم أن الإنسان إذا مَرّ بتجارب، وكان صادقا في قراءتها، مستحضرا فوائدها، سيجد العلاج في هذه الوصفة الإيمانية؛ أنه كلما حزبنا أمر وضاقت علينا أمور نستعين بالصبر والصلاة.

لماذا أصحاب التجارب يشعرون أن هذه القاعدة ذهبية؟ لأنه لما تمر عليهم التجارب يرون أن لا شيء يدوم في هذه الدنيا، بل الله عز وجل يعاقب بين حالات الحياة، تأتي واحدة عقب الثانية، وهذا من حكمة الله؛ لأنه تحصل بهذا أنواع من العبودية، لذلك من يجرب وينتفع من تجربته سيجعل الحياة كلها يومين أو ساعتين؛ بمعنى سيعطي لكل فترة من الحياة اسما، فتنتهي الحياة على اسمين؛ فيقول هذا يوم الصبر وهذا يوم الشكر، أو يقول هذه ساعة الصبر وهذه ساعة الشكر.

فيبقى الناس الذين عندهم تجارب وواعين وعارفين أن الدنيا لا تبلع المؤمن، المؤمن ينظر إلى الدنيا من فوق ويقول نعم أتت ساعة الصبر، إذن أنا سأخرج هذه العبادة وسأنتظر أجور الصبر وسأتعلق برب العالمين يعطيني من الصبر، سأتعلق برب العالمين يفرج علي الأمر، سأتعلق برب العالمين أطلب ما أريد صابرا على ما بلاني، وإن طالت الأيام فلذة المناجاة تهوّن الأحزان.

ولما تأتي الساعة الثانية، تأتي ساعة الشكر يقول الآن عبودية الشكر، عبودية اليسر؛ فإما عبودية اليسر وإما عبودية العسر، إما أجر الصبر وإما أجر الشكر، إما ساعة الصبر وإما ساعة الشكر، هذه الدنيا.

ثم إنك تريد أن تنجح في الاختبار وما سئلت؟! لا بد أن تُسال، فسؤالك إنما هو أقدارك.

لذلك ينكشف أهل النفاق وينكشف الخلص من أهل الإيمان، ينكشفون لنفسهم وإلا فربنا عالم بهم، وكلما فهم الإنسان الحياة كلما شعر بلذة عجيبة في مرور الأحداث ونجاحه في حسن ظنه، ونجاحه في صبره، ونجاحه في مناجاته لربه.

لما تمر الأحداث وينجح الإنسان، هناك لذة ما يستطيع أحد أن يصفها، لما تمر الأحداث ويصبر الإنسان ويتفاءل بالله ويرضى عن الله ويناجي الله ويسأل الله وينكسر بين يدي الله، ثم تمر وتترك وراءها آثار الإيمان في القلب، وآثار الحسنات في صحائف الإنسان، والدرجات العلا من الجنة، ماذا يريد الإنسان أحسن من ذلك؟

ولذلك مما يُذكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان في يوم مع جلسائه من عامة الصحابة، وكان فيهم عمرو بن العاص، فسألهم ما أحسن شيء مر عليكم؟ وهذا عمر العقل الفذ الذي يحب أن يجمع من تجارب الناس، فقال كل رجل برأيه، وعمرو بن

العاص رجل العقل والفطنة والذكاء، وهو ساكت، فوجّه له الخطاب وقال له ما تقول يا عمرو؟ قال "**الغمرات ثم ينجلين**".

يعني أحسن شيء جرّبه في الحياة أن تأتي غمرة، بمعنى مشكلة، أو أزمة، ثم تنجلي. فيقول هذا أحسن شيء.

نلاحظ أن عمرو بن العاص هو الذي جرب الطعن والطاعون لأنه كان في الشام عند الطاعون، وهو جاهد مع النبي ﷺ ومع الخلفاء من بعده، فهذا رجل خبير، مرّ بالأزمات فيقول أحسن شيء مر عليه الغمرات ثم ينجلين، سبحان الله!

يعني يمر الإنسان بأزمات فيستعين بالصبر والصلاة، ويكون في قلبه التفاؤل، ويكون في قلبه الرضا عما يقدّر الله وانتظار فرج الله، والثقة بالله، ثم ينجلين، **غمرات ثم ينجلين** يعني شدائد ستنكشف، فهذا يوجب التسلي.

الإنسان يستعين بالصبر والصلاة **حتى في مو اقف الشكر**.

وهنا نود أن ننقل كلمة جاءت في كتاب المحاضرات في اللغة والأدب، يقول فيها: (**وقال بعض العارفين الناس كلهم في مقام الشكروهم يحسبون أنهم في مقام الصبر**)

أنت تجد أننا منعم علينا بنعم كثيرة، ونحن نعتقد أننا في موقف صبر، وهو لا يقصد نفي وجود الصبر لكن أراد أنه لا مقام صبر إلا

ويقارنه مقامات شكر، وهذا إن شاء الله نوفق على بيانه إذا تيسر لنا فيما نستقبل.

في كلامنا في سيد الاستغفار الذي أتى في درس السبت الماضي، من الاستغفار أن أقول "أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ" ونحن في الحقيقة في موقف حياء من رب العالمين، لماذا؟ لأن نعم الله عظيمة علينا ونحن غارقين في نعمه ومع هذا نتناقش في المسائل التي تنقصنا. هذا التفكير إن شاء الله نجد فيه توسع أكثر في اللقاءات القادمة، لكن نقصد بهذا أننا لو فكرنا بهذه الطريقة ستتلاشى الكثير من الشبهات التي يمكن أن تأتي لكثير من الناس.

والمقام الحقيقي الذي بيننا وبين رب العالمين هو مقام الحياء مما فرطنا في حق الله، ولكي نقف في هذا المقام كما ينبغي نحتاج إلى صبر.

لكن نود أن نؤكد أن نتائج الصبر يجب أن تكون متعلقة بما عند الله. نتائج الصبر لا بد أن يكون الإنسان فيها صابرا لله، يجب على الإنسان في هذا الموقف الذي يتكلم فيه عن الصبر، يجب أن يعرف أنه أصلا صابر لله، وليس صابرا بحكم الطبيعة النفسية، أو فقط صابر لأنه لا يوجد حل إلا أن يصبر، لا بد أن يصبر وهو شاعر أنه يصبر لله وأن الصبر إنما هو منة من الله.

وهنا أنقل **مراتب الصبر كما ذكرها ابن القيم رحمه الله:**

"فَصْلٌ أَنْوَاعُ الصَّبْرِ. وَهُوَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَنْوَاعٍ: صَبْرٌ بِاللَّهِ. وَصَبْرٌ لِلَّهِ. وَصَبْرٌ مَعَ اللَّهِ.

فَالْأَوَّلُ: صَبْرُ الِاسْتِعَانَةِ بِهِ، وَرُؤْيَتُهُ أَنَّهُ هُوَ الْمُصَبِّرُ، وَأَنَّ صَبْرَ الْعَبْدِ بِرَبِّهِ لَا بِنَفْسِهِ. كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ}[1] يَعْنِي إِنْ لَمْ يُصَبِّرْكَ هُوَ لَمْ تَصْبِرْ"

ألا يتوجب هذا شكر الله على أنه هو الذي يفرغ على الإنسان صبرا! يعني إن لم يصبرك الله لم تصبر، فالأمر كله يعود إلى الله والمطلوب منك أن تعزم على الصبر وتطلب الله الصبر يعطيك الصبر، ولذلك هذا من أسرار {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} يعني ابدأ بالعزم على الصبر واطلب من الله الصبر في صلاتك، واصبر وما صبرك إلا بالله.

"وَالثَّانِي: الصَّبْرُ لِلَّهِ" وهذا فيه تنبيه مهم؛ أن كل هذا الصبر الذي ندور حوله يجب أن يكون حالنا فيه أن نصبر لله.

"وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْبَاعِثُ لَهُ عَلَى الصَّبْرِ مَحَبَّةَ اللَّهِ، وَإِرَادَةَ وَجْهِهِ. وَالتَّقَرُّبَ إِلَيْهِ. لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ" وأنت سائر في هذا الطريق العظيم يجب ألا تميل لغير رب العالمين.

"لَا لِإِظْهَارِهِ قُوَّةَ النَّفْسِ وَالِاسْتِحْمَادَ إِلَى الْخَلْقِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَغْرَاضِ" هذا أصبح الأمر الثاني.

---

(1) [سورة النحل: ١٢٧]

الأمر الأول **أن الصبر بالله** ليس الصبر من عندنا، وإنما الصبر بالله الذي يعطينا الصبر، فلو عزمنا حقيقة على الصبر وطلبنا من رب العالمين الصبر، بإذن الله وبفضل من الله يرزقنا إياه، ثم مطلوب منك **أن تصبر لله**، يكون الباعث على الصبر محبة الله، كما يقول ابن القيم، وإرادة وجهه والتقرب إليه لا لإظهار قوة نفسه والاستحماد إلى الخلق.

"وَالثَّالِثُ: الصَّبْرُ مَعَ اللَّهِ. وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللَّهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ" الصبر هنا سيتبين أنه ليس فقط حبس النفس، يعني منعها، الصبر هي الحركة على مراد الله، والتزام الحركة على مراد الله.

يقول ابن القيم: **"وَهُوَ دَوَرَانُ الْعَبْدِ مَعَ مُرَادِ اللَّهِ الدِّينِيِّ مِنْهُ وَمَعَ أَحْكَامِهِ الدِّينِيَّةِ. صَابِرًا نَفْسَهُ مَعَهَا، سَائِرًا بِسَيْرِهَا، مُقِيمًا بِإِقَامَتِهَا"** هنا أقم أقيم، هنا سر تسير.

"يَتَوَجَّهُ مَعَهَا أَيْنَ تَوَجَّهَتْ رَكَائِبُهَا. وَيَنْزِلُ مَعَهَا أَيْنَ ما نزلت، فَهَذَا مَعْنَى كَوْنِهِ صَابِرًا مَعَ اللَّهِ؛ أَيْ قَدْ جَعَلَ نَفْسَهُ وَقْفًا عَلَى أَوَامِرِهِ وَمَحَابِّهِ. وَهُوَ أَشَدُّ أَنْوَاعِ الصَّبْرِ وَأَصْعَبِهَا. وَهُوَ صَبْرُ الصِّدِّيقِينَ".

هذا الصبر سيكون أمرا واسعا، وهنا سنتذكر السياق الذي جاءت به الآيات، ونرى أن المرة الأولى التي ذكر فيها قوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} كانت في سياق الكلام مع بني إسرائيل، وأمرهم الله عز وجل بأوامر؛ أمرهم بذكر نعمته وبالوفاء

بعهده، وبالإيمان بما أنزل، وألا يلبسوا بالحق بالباطل، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، وعاتبهم أنهم يأمرون الناس بالمعروف وينسون أنفسهم، بعد هذه الأوامر كلها خصوصا رأسها وهي أن يذكروا نعمة الله ويوفوا بعهد الله ويؤمنوا بما أنزل الله، أخبرهم عن الطريق الذي يصلون به وهو الاستعانة بالصبر والصلاة. يعني لن تتخلقوا بما عُدّ لكم من أوامر ونواهي، لن تتخلقوا بها إلا إذا استعنتم.

مما يعينكم على التخلق بهذه الأوامر، وأن تصبحوا متحلين بالمحامد، متخليين عن المذمات، لن تكونوا بذلك إلا إذا استعنتم بالصبر والصلاة. وهنا سنجد أن هؤلاء القوم الذين هم اليهود في هذا الموقف أُخذت منهم وجاهتهم، أُخذ منهم شأنهم، أُخذت منهم مكانتهم، وقيل لهم كونوا أتباعا بالحق لهذه الأمة، ما أصعب هذا الأمر! فماذا كانت النتيجة؟ قيل لهم من أجل أن تصلوا، عليكم بملاك الهدى، وهو الصبر؛ لأن مما يصد الأمم عن اتباع الدين القويم هو ضعف نفوسهم عن تحمّل مفارقة الدين القديم، فهؤلاء كانوا في القمة، هم أهل الكتاب، هم من يفهمون، هم من عندهم الوحي، العرب هؤلاء كلهم جهال، قيل لهم الأمر تغير الآن، هل يقبلون مباشرة؟ لا! يجب أن يتدرعوا بالصبر من أجل أن يسهل عليهم اتباع الحق.

وهذه الجملة هي التي نختم بها الكلام ونؤكده؛ الموطن الأول الذي ورد فيه هذا الأمر، وهي وردت مرتين في سورة البقرة، الأمر

بالاستعانة بالصبر والصلاة، **الموطن الأول يدور حول معنى عظيم يبقى إن شاء الله ظاهر أمام أعيننا، أنه لا بد أن نتدرع بالصبر ليسهل علينا اتباع الحق**، وهذا في حق بني إسرائيل وفي حق أي إنسان يواجه مسألة طلب الحق، في أي حال من الأحوال أنت تكون طالبا فيه للحق، ما لك في هذا إلا أن تتدرع بالصبر لأجل أن تكون صادقا في طلب الحق. فتخيل أحوالنا كلها بتفاصيلها، بمواقفنا، بمناقشاتنا مع أهلنا، وإخواتنا، مع زملائنا، مع جيراننا، مع مجتمعنا القريب أو البعيد، الحقيقي أو الافتراضي، كل هؤلاء العلاقة بهم من أجل أن تكون على الحق، وأكون في مواقف طالبة للحق واصلة إلى الحق، يجب أن أتدرع بالصبر.

نكون بهذا تقريبا ميّزنا هذا الموطن بميزتين، الأولى أن الموطن الأول في سورة البقرة كان في سياق خطاب بني إسرائيل، فكان هنا رب العالمين ينبههم أنكم لن تمتثلوا الأوامر، لن تتحلوا بالمحامد وتتخلوا عن المذمات، إلا لو استعنتم بالصبر والصلاة، لكن لا بد، وهذا الأمر الذي يميز هذا السياق، لا بد أن تكون الآخرة على بالكم لتستطيعوا أن تقبلوا الحق وتصبروا الحق، وتخرجوا ما كنتم فيه إلى الخير العميم، إذا لم تكن الآخرة على بالكم فلن تصلوا.

إن شاء الله في اللقاء القادم نزيد الأمر بيانا في هذا الموطن وننتقل للموطن الذي بعده. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني

وإياكم بما فيه من الذكر والخير العميم، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللقاء الثالث الأربعاء ٢٢/ ٧/ ١٤٤٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بسم الله، توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. نكمل اليوم ما بدأناه في الكلام حول هذه الآية العظيمة وهي قوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ} وهذه الآية أتت في موطنين في سورة البقرة، وقد مر معنا شيء من الكلام عنها، وتبين لنا أن هذه الكلمة العظيمة؛ كلمة الصبر لا يحققها، بمعنى لا يصبر بالمعنى القرآني لكلمة الصبر إلا إنسان عرف الله وعظمته وجلاله، وعرف سنته في كونه، وعرف الدار الآخرة وكانت الدار الآخرة مركز لتفكيره، مركز يلتفت إليه وينطلق منه، بهذا يكون الصبر نافعًا لأصحابه.

الصبر يقوي القلوب الضعيفة، والصبر يوصل الإنسان إلى المراتب العالية، خصوصا لو كان هذا الإنسان قد أوتي صحبةٌ تعينه على الصبر، فيستعين هو بالصبر، وتستعين صحبته بالصبر فيجتمعون صابرين، ويتعاونون جميعا على الصبر.

على كل حال الكلام عن الصبر يطول، وقد جاء في كتاب الله عز وجل عن الصبر أخبار كثيرة، وجاء مدح للصبر في كتاب الله، وفي سنة رسول الله ﷺ تدعو الإنسان لأن يكون صابرا؛ صفات مَدح

عظيمة للصبر ولأهله ولجزائهم تجعل الإنسان يشتاق لهذه المرتبة، ويعتني بهذا الخلق.

ولذلك لا بد أن نذكر أنفسنا دائما بهذه الخصلة خصلة الصبر. لأن الصابرين إذا صبروا لأجل رب العالمين، وعلموا أيضا عن رب العالمين أنه يحب الصابرين منهم، وأنه سبحانه وتعالى مع الصابرين، كما سيتبين لنا في الموطن الثاني، وعلموا أن الصبر وراءه خيرات عظيمة، إذا نظر الإنسان إلى هذه النتائج وجد في نفسه رغبة في الصبر.

مما يعين على الصبر أن تُرزق صُحبة صابرة، فتعلمك الصبر وتساعدك على أن تستعين في أوضاع الحياة بالصبر، ومما يعين على الاستعانة بالصبر في كل الحياة أن تعلم ما للصابرين عند الله. ونحن لو أخذنا وصايا الله لنا وحملناها على محمل الجد سنجد أنفسنا في أحسن حال، وسنجد أنفسنا منتقلين من النقص إلى الكمال، ولا نبالي بمن لا يفهم وصايا رب العالمين؛ فالله يقول واستعينوا بالصبر ليس من باب التواكل أبدا، وإنما الصبر عقيدة يحملها الإنسان، مبنية على حسن الظن بالله ومعرفة سنن الله وفهم لطبيعة الحياة.

من فهم طبيعة الحياة عرف أنه يجلس في قاعة اختبار وأن الصبر هي الوسيلة التي منها يصل الإنسان إلى النجاح، الصبر

عقيدة مبنية على معرفة الله، لذا كل من وجد في نفسه نوع من الوساوس أو المخاوف تجعله يمتنع عن الإقدام على ما ينفعه أو يمنعه من الاستمتاع بما وهبه الله، فليداوِ نفسه بهذا الدواء، الله أنزل القرآن شفاء للناس، شفاء للإنسان في بدنه وقلبه، فما تظن أن الصبر أن تستسلم للواقع أو تستسلم للوساوس، أو تستسلم للخيبة، أو تستسلم للمدمرات، أو تستسلم لليأس، إنما الصبر عقيدة يرجع فيها الإنسان إلى حسن ظنه بالله.

ومن ذلك شعوره أن الله ناظر إليه وقت ما يبتلى ببلية أو تأتي عليه قضية من قضايا الدنيا، أو حتى يشعر بضيق لا يعرف له سببا، فماذا يفعل؟ ما له إلا أن يتأمل فيما يعتقده في رب العالمين، لما يدخل في شؤون الحياة ويجدها تضيق ينظر فيما يعتقده في الله في أصول القضاء والقدر، كما أخبر الله في كتابه، وبين لنا سبحانه وتعالى حقائق هذا القضاء والقدر، وكيف أنه أخبرنا {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ}[1] الأمور لا تأتي صدفة ولا كما اتفق ولا بدون أن يكون هناك حكمة، لا والله!

{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} من قبل أن يخلقها الله، من قبل أن تجتمع الأسباب ويقع ما قدره الله، {إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}.

---

(1) [سورة الحديد:٢٢]

لماذا يخبرنا الله أن الأمور مقدرة؟ هل لكي نترك العمل؟! لا أبدا، وإنما لنستعين بالله ونطلب منه أن يرزقنا الصبر ونجعل الصبر هو مادة حياتنا، فنستعين بالصبر ونصل بهذه العقيدة إلى ما أراد الله، {لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ}[1] خسرنا شيء، نقص علينا شيء ما نأسى عليه إيمانا منا بالقضاء والقدر، وأن هذا مكتوب من قبل أن يخلق الله السماوات والأرض بخمسين ألف عام.

{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} قد كتبها الله عز وجل، وهذه الكتابة لا يخرج عنها شيء، ولا يتغير منها شيء، وإنما كل شيء بأمره سبحانه وتعالى، وبعمله سبحانه وتعالى؛ فكن متيقنا، وإذا تيقنت هذا اليقين سهل هذا الصبر، لذلك الصبر عقيدة.

{مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ} من قحط وجدب ووباء، كل ما تراه أمام عينيك من غلاء ووباء وغيره.. كل هذا في كتاب، {مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ} خوف، مرض، موت لأحد من الأحباب، ذهاب مال.

{إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا} يعني من قبل خلقِ المصيبة وخلقِ النفس وخلقِ الأرض؛ فالله عليم، سبحانه وتعالى، وهذا الأمر

([1]) [سورة الحديد:٢٣]

على الله يسير، تقديره عز وجل على الأنفس وكون هذا الأمر يكون هذا عند الله يسير.

{لِّكَيْلَا تَأْسَوْا} بمعنى لا تحزنوا، إذا كانت هذه عقيدتكم فالصبر سيكون وسيلتكم، لكلا تأسوا ولا تحزنوا على ما فاتكم من أي شيء؛ من عافية، من رزق، من مال.

{وَلَا تَفْرَحُوا} فرح البطر والأشر، بل أيضا لما تأتيكم النعماء تصبروا على ألا تبطروا، ولا تفرحوا فرح البطر والأشر بما آتاكم الله عز وجل من نعم الدنيا. فأنت تستعين بالصبر في كل حال.

إذن الصبر عقيدة عند أهل الإيمان، **وهذه العقيدة هي عقيدة العلم بحكمة الله**، عقيدة الإيمان أن الله الحكيم قدّر الأقدار وأعلمنا سبحانه وتعالى بأنه قد فرغ من التقدير فلا يتصور فيه تقديم ولا تأخير، ولا تبديل ولا تغيير، فلا الحزن يدفعه ولا الطمع يجلبه ويجمعه، بل نعامل الأقدار على أنها اختبار، ونكون في هذا معتقدين أن الدنيا ما هي إلا دار ممر، وأن في الآخرة هو المستقر؛ فما يمر علينا اليوم نتعامل معه بالصبر.

فإذا استعنا بالصبر ونحن معتقدين بأن رب العالمين حكيم في كل ما يقدر، وأنه سبحانه وتعالى قد فرغ من القضاء والقدر، وانتهت كتابة اختباراتنا وها هي أمامنا، فكان الواجب أن نعاملها كما يليق بالمؤمن، فأعلمنا رب العالمين أنه قد فرغ من القدر لنعلم يقينًا أن

صبرنا هو سبب نجاحنا بأمر ربنا، فلا نحزن على فوات خير ووقوع ما لا تحبه النفوس، ولا نفرح بوصول خير فرح الأشر والبطر، بل نعلم أن هذا اختبار، وأن هذا اختبار.

هذا الصبر الذي في عقيدة المؤمن ليس أمرا سلبيا، بل الصبر ينطوي على عقائد عظيمة. الصبر **كما ينطوي على عقيدة الإيمان بحكمة الله، ينطوي على عقيدة الأمل بالله، ينطوي على الثقة في الله وحسن الظن به.**

وكما ينطوي على عقيدة الإيمان بحكمة الله، والإيمان بالقضاء والقدر، وعقيدة حسن الظن بالله والأمل في الله، وأن كل خير يأتي من الله، أيضا في الصبر رجوع إلى الله، واستمداد القوة من الله، فالصابر يرجع لله مستمد القوة من الله، ويكون متأملا فيما قدّر الله عز وجل، يتأمل تأمل المؤمن بالله، يتأمل تأملا يصل معه إلى معرفة الأسباب والمسببات، ويستنبط العواقب والمآلات، يقول كيف وقع ما وقع، ولماذا وقع؟ يتدبّر وينظر ويرى كيف الله عز وجل يعلِّمنا عن نفسه، ويرى كيف أن رب العالمين يربينا بهذه الأقدار التي تقع.

إذن لما نصبر نرجع إلى الله ونستمد القوة من الله، لما نصبر نحافظ على قدرتنا في التأمل فيما خلق الله، التأمل في الأقدار، التأمل في ترتب الأمور على بعضها، التأمل فيما تجد حولك من

أحداث. فهذا يجعل الإنسان ينظر إلى الحياة وإلى الكون على أنه مدرسة يتربى فيها، ويستبصر في طيات الأحداث حتى يكون مستمدا منها العلم، فيصبح في نفسه حكمة، في نفسه اتزان، فالصبر الأول يولد الصبر الثاني.

بمعنى لو الإنسان صبر معتقدا أن هذا قضاء وقدر، صبر وهو محسن الظن بالله منتظر من الله الخير، متأكد أن في طيات هذا الحدث خيرا، لو صبر يستطيع أن يتأمل، يستمد القوة من الله بالصبر، لأنه لما يصبر ولا يجزع مباشرة سيذهب إلى الصلاة بعد ذلك، ومباشرة سيفزع إلى الله، لكن لنتأمل في الأمر الآخر؛ لما يصبر وينظر للأمور بهدوء فيتصور ترتب الأمور على بعضها ويتصور حكمة الله، فالمرة الأولى لما صبر رأى أن ما كان ينقصه أتى في الوقت المناسب، أو ما كان يتمناه ويرجو وجوده خير أنه لم يأتِ، ولما يصبر ويتأمل فيجد أن ما رغب فيه جاء في الوقت المناسب، أو حُبس والحمد لله أنه حُبس لأنه تبين له بعد زمن أنه مضر، أو بالتأمل يجد شيء أعظم من ذلك، ويجد أن الله عز وجل منعه هذا الأمر لأجل أن يُحدث هو عبادات وطاعات، ويُظهر فقره إلى الله.

إذن الصبر عقيدة يحملها الإنسان، والصبر رجوع إلى الله وفزع إليه، والصبر يولد لحظات من التأمل والتبصر، فينظر الإنسان من خلال هذا الصبر إلى حقائق الأشياء، النتيجة أن المرة القادمة سيكون أكثر صبرا، وأن المرة القادمة سيكون أعظم أجرا عند الله

لأنه سارع بالصبر، ولأن صبره طال أكثر من المرة الماضية، ولأن صبره بُني على حسن اعتقاد أكثر من المرة الماضية، ولأنه استبشر بما يأتي من عند الله فيكون أهلًا لقول الله {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ}[1].

معنى ذلك أن الإنسان يخرج من قدر الله الذي يقدره لو سار مع الصبر والصلاة أقوى مما كان عليه قبل.

الآن نداء لكل المؤمنين والمؤمنات، ابعدوا عنكم داء الاكتئاب، واهربوا من الانكسار والانهزام النفسي، وداووا كل هذا بدواء الصبر؛ لأن الصبر يتضمن اعتقادات لو جمعها الإنسان أصبحت هذه الاعتقادات دواء لداء الاكتئاب، ويخرج الإنسان بعدها من المصيبة، ويخرج الإنسان بعدها من الآلام أقوى وأقوى، والمؤمن القوي خير وأحب على الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير؛ القوي يعني القوي بإيمانه، فالمؤمن يأخذ قوته من أصول اعتقاده.

إذن الصبر ليس صفة سلبية، أو هو مجرد سلوك خارجي، الصبر حقيقة اعتقادية، يقين أن الله جل وعلا عالٍ على خلقه، مستوٍ على عرشه، يحكم كونه بقضائه وقدره، وأن لا شيء يغيب عن الله، ولا شيء يعزُب عنه سبحانه وتعالى علمه، ولا شيء يقع إلا بإذنه، فهذه الحقائق وإن كانت معلومة عند أهل الإيمان، لكن تأتي البلاءات

---

(١) [سورة البقرة:١٥٥]

والاختبارات فتجعل هذه الحقائق واضحة تمام الوضوح، ولا يغيب عن المؤمن هذا الأمر في كل حاله.

لذلك ورد عن علي رضي الله عنه: **"الصَبَرُ مِنَ الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قُطع الرأس نتن باقي الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له"**، هذا الإيمان الذي يكون في قلب الإنسان بالله وبعظمة الله هو الذي يجعه بهذه الحال، الصبر رأس الإيمان، معنى ذلك أن الإنسان المؤمن دليل إيمانه صبره، فكلما زاد صبرا كانت دليلا على زيادة إيمانه.

إذا فهمنا هذا وفهمنا أن أهل الإيمان المباركين يطلبون زيادة الإيمان فإنهم في الحقيقة يطلبون زيادة الصبر لما يحيط بهم من أمور في الحياة لا تنتهي أبدا.

نؤكد أن رب العالمين يريد بالإنسان الخير فيربيه ويرقيه، ولا يريد إهلاكه أبدًا، بل {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَوَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}[1].

لكن ما الذي يجعل الإنسان لما تأتيه الأمور المزعجة يذهب إلى الكآبة، وما الذي يجعلنا نظن أن الأمور فوق طاقتنا؟

هذا السؤال يعود بنا مرة أخرى إلى أن الصبر عقيدة. الذي يُذهب الاكتئاب والذي يذهب الحزن الشديد حسن الظن بالله أنه يريد بنا خيرا، وأن هذا الممر الضيق الذي أسير فيه نهايته خير

---

(1) [سورة البقرة:١٨٥]

عظيم، سأرى الخير لو استعنت بالصبر والصلاة، لكن لو ما استعنت بالصبر والصلاة، ستكون النتيجة أن الخير الذي جعله الله قريب وفي متناول يدي سيصبح رؤيته مشوشة، وانظر مثلًا لبني إسرائيل الذين ضعُف عندهم الصبر حتى على نعماء الله، فقالوا {لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ}[1] هذا الطعام كان المنّ والسلوى، وكان سيأتيهم من الله خيرات أكثر وأكثر! لكن نلاحظ أن الإنسان أول ما يطرأ عليه ما يزعجه -حتى الملل- تكون النتيجة عنده مباشرة أنه يعبر عما عنده، ويتكلم بما لا يصلح الكلام به! وتجده بطران على النعماء، بعيد عن شكرها، تجده قليل الحياء، فهذه هي مشكلة قلة الصبر.

وانظر ماذا تفعل قلة الصبر، كما في موقف بني إسرائيل الذين ما استطاعوا أن يصبروا على النعمة، والخير كان سيأتيهم فاستبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير، ولذلك نعرف عقول الناس بالقدرة على حبس أنفسهم وتجاوز التأثير الوقتي للأمور لما تهيج النفوس، فتجد بعض الناس يغضب غضبا يتجاوز الموقف ويهدم بنيانا عظيما قد بناه في سنين! انظر لمّا يحصل هذا في حالات الطلاق، مثلا تكون هذه الزوجة قد بحثوا عنها حتى أضناهم البحث، وهذا البيت أسسوه حتى أهلكهم الأساس، ودفعوا من أموالهم ودفعوا من صحتهم، وأهلهم بذلوا جهودهم، ثم يأتي غضب يهدم هذا كله.

---

(١) [سورة البقرة:٦١]

فما يحبس نفسه حتى يفكر في بُعد تصرفه. ومثلها تأتي نزوة أحيانا تسوقه إلى قرار مصيري، وأحيانا عناد يخسره في يوم واحد ما كسبه في أيام متفرقة من حياته.

عدم الاستعانة بالصبر والصلاة يدخل الإنسان أحيانا في صراعات تدفعه لاعتصار زهرة عمره في قضية لا تستحق الالتفات لها، لكن هكذا الشيطان يريد أن يوصل الإنسان إلى هذا التخبط في حياته، مهما قال الإنسان أن الصبر صعب، لكن فلنفكر في العواقب، وقد ورد عن بكر بن عبد الله المزني أنه قال: "**إن الله ليجرّع عبده المرارة لما يريده به من صلاح عاقبته، أما رأيتم المرأة توجرولدها الصَبِر أو الحضض تريد به عافيته**"[1].

الأمر الذي ستجده في الصبر سيصلح عاقبتك، إذن يحصل ان الإنسان يتجرع المرارات من أجل العافية، كذلك تجرع أنت الصبر، وإن كان مرا، من أجل عافية نفسك، تصبّر من أجل أن تُعافَى. لكن لما يحصل الاستسلام لا تجد عند الإنسان قوة أبدا لأجل مدافعة هذا الألم الذي يجده في نفسه.

والكلام في الصبر يطول، لكن أهم ما في هذا الموضوع أن نفهم أن كثرة التفكير في تفاصيل الابتلاء التي أصابت الإنسان وتتابعت عليه ليس من الصبر، هذا يعود على النفس بكثير من الإحباط وكثير من

---

(١) الزهد" للإمام أحمد (١٧٥٥). (توجر): الوَجُورُ: الدواء يُصَب في الحَلق. (الصبر)و(الحضض): نباتات يُتداوى بها.

اللوم وكثير من التعب النفسي، وهو في الحقيقة من مداخل الشيطان، من أجل أن يزداد الإنسان حزنا وتشاؤما، الشيطان يريد أن تتجدد فيك الآلام، كثرة التفكير بالتفاصيل تشغلنا عن الفزع إلى الصلاة وإلى الدعاء، تشغلنا عن الشكوى إلى الله، فلا يكون المؤمن بهذه الحال.

المؤمن يعلم أن الصبر إيمان بالله، ويحسن الظن في الله ويقول أنا أصبر الآن على هذا الأمر الذي أكرهه وأراه شرا، لكني ما رأيت من رب العالمين إلا الخير، فأنا علمي قاصر وعقلي محدود، لا أستطيع أن أستوعب أن هذا البلاء خير، لكني أعرف ربنا، وأعرف أن ما يصيبني إنما هو من آثار لطفه، وأني لو صبرت كما صبرت في المرة الماضية تتكشف لي حكمة الله، وأنا اليوم قبل أن تنكشف لي حكمة الله أقول الحمد لله، وحتى لو لم تنكشف لي الحكمة فأنا أنتظر الأجر من الله. فينظر المؤمن إلى الصبر على أنه مفتاح الجنة، لذلك يقال ظُلم الصبر لما قيل إنه مفتاح الفرج -كما في المعنى الشعبي- وإنما الصبر مفتاح الجنة. وكان أحد الصالحين لما نزلت به الحمّى قال: "**أهلا بعطية الله**" لأنه يعلم أجر المرض والتعب.

فلنعلم أن الصبر إذا أصبح صفة للقلب رأى ما لا تراه العيون، القلوب إذا عرفت الله وأحسنت الظن به ترى ما لا تراه العيون، ولو كان الاختبار يسير وسهل ما كان الصبر أحد أبواب الجنة.

لقاءنا هذا مُركّز على هذه المسألة؛ الصابر يصبر عن عقيدة، الصابر يخرج من صبره وهو ممتلئ معرفة بالله، متأملا ما حصل حوله، مستفيدا من الدروس، وبعدها سيجد نفسه يدخل إلى الصلاة، ويفزع إلى الله، ويخاطب ويناجي رب العالمين بوجدانه، فهذه الصلوات تمدّ الصبر بالقوة، لأن الصبر قد ينقضي، وقد يضعف، وقد يخور الإنسان، لذلك أردف الله عز وجل الاستعانة بالصبر بالاستعانة بالصلاة، لأن الصلاة هي المقوّم الذي يمنح الإنسان القوة في الصبر والاستمرار.

الصلاة هي التي تجعل هذا الصبر طاعة وعبادة، وليس إلفًا، وليس نوعا من عدم الاكتراث والبرود، إنما هو طاعة وعبادة.

يوجد أناس لمّا تقع المصائب تجده لا ينفعل ليس لأنه صابر، لأن إحساسه قد مات، كأنه ميت الروح بتعبير آخر، فالمؤمن يتألم لكنه يستفيد، المؤمن لا يفقد توازنه النفسي ولا يفقد شخصيته وقدرته على التأمل والنظر والاستفادة، وإنما دائما يجد في نفسه أنه يتربى وأنه يتعلم، وأنه المرة القادمة أصبح أكثر استقرارا نفسيا وأكثر شجاعة.

إذن ونحن سائرين إلى الله ونقضي أيامنا في الحياة لا بدأن يأتينا ما يؤثر علينا وما يزعجنا، فكيف نتعامل معه؟

نستعين بالصبر الذي هو مبني على عقيدة، نستعين بالصبر ونحن نعلم القضاء والقدر وحكمة الله ووظيفتنا في الحياة، وكون أن الدنيا اختبار وكون أن رب العالمين أخبرنا أن هذه الدنيا مظنة الكدر، وأن الله بين لنا {وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ}[1] فهذه هي طبيعة الحياة وهذا هو الاختبار، ونحن نعتقد أن الله سبحانه وتعالى جعل هذه الابتلاءات سببا لرفعة الدرجات، وعرفنا آية سورة الحديد وفهمناها، فالصبر مبني على عقيدة.

كلنا في الحياة ربنا يبتلينا بأنواع من البلاءات، المؤمن والكافر وكل الناس يبتلوا ببلاءات، لكن المؤمن يتميز بعقيدته؛ أنه يعرف أن الدنيا ابتلاء وأن هذه الحياة مكان للابتلاء، فيستعمل الصبر، يجب أن يكون معه الصبر، ويعرف أن الله لا يقدر شيء إلا لحكمة بالغة، ثم يعرف أن ليس له إلا الله فيفزع إلى الله، فزعه إلى الله يكون في الصلاة؛ وقت المصاب لن يفزع إلى الصلاة إلا من أحسن الظن بالله وعلم أن الأمر بيد الله، وعلم أن الله هو الذي يفرج الهموم، وعلم أن الفزع إلى الله سبب لسكون النفس ورضا الإنسان ولفهم ما يدور حوله وفي نفس الوقت الأجور العظيمة التي تأتيه.

إذن لا نفكر أبدا كيف سيأتينا الفرج، وإنما نستعين بالصبر والصلاة والفزع إلى الله -الذي يمثله الصلاة- ونحن واثقين في علم

---

(1) [سورة البقرة:١٥٥]

رب العالمين وقدرة رب العالمين وحكمة رب العالمين، فلما نشتغل بالصلاة ونسير بها إلى الله كل المصائب حينئذ تُفهم ويُفهم كيف يتعامل معها الإنسان، وبهذا السبب تكون الصلاة قرة عين الإنسان لا يجد راحته إلا فيها، كما قال النبي ﷺ: «**وجُعِلَتْ قُرَّة عَينِي فِي الصَّلاةِ**»[1] لأنه يجد فيها راحة، المؤمن يربي فيها نفسه، المؤمن في الصلاة يناجي ربه ويطمئن إليه، ويتفرج عنه كربه لأنه يجد نفسه أنه طرف في منظومة كبيرة، عظيمة. إذا قرأ الآيات مثلا في سورة القصص وما حصل لموسى عليه السلام وما مان وكيف خرج وكيف نجاه الله وكيف وجد طعاما ومباتا وزوجة في طرفة عين لمّا شاء الله، فيجد نفسه أنه جزء من هذه المنظومة العظيمة.

فالحمد لله الذي أوصانا بهذا الدواء، أوصانا بالاستعانة بالصبر والصلاة، وجعل الفوز بالجنة والنجاة من النار لا يحظى به إلا الصابرون {**إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ**}[2] . لذلك فيما يذكر عن إبراهيم التيمي رحمه الله أنه قال: "**ما من عبدٍ وهبَهُ اللَّهُ صبرًا على الأذى، وصبرًا على البلاءِ، وصبرًا على المصائبِ، إلا وقد أُوتي فضلاً، ما أوتيهِ أحدٌ بعدَ الإيمانِ باللهِ**"، فالحمد لله.

---

(١) الراوي: أنس بن مالك | المحدث: ابن حجر العسقلاني | المصدر: فتح الباري لابن حجر الصفحة أو الرقم: ٣/٢٠ | خلاصة حكم المحدث: صحيح

(٢) [سورة المؤمنون:١١١]

لا زال موضوع الصبر وموضوع الاستعانة بالصلاة لا ينتهي، فيأتينا إن شاء الله في الأسبوع القادم في نفس الموعد ما يتسر لنا في الكلام عن هذا الخلق العظيم وهذه العبادة العظيمة، نلتقي بإذن الله في الأسبوع القادم ونحن بخير حال، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

اللقاء الرابع الأربعاء ٢٩/ ٧/ ١٤٤٣هـ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. بسم الله توكلنا على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. هذا موعدنا الأسبوعي لمدارسة ما ينفعنا من هذه الآية العظيمة التي تكررت في سورة البقرة مرتين، وهي قوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ} هذا الأمر كبير وعظيم {إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}. وقد عرفنا فيما مضى صفة هؤلاء الخاشعين الذين جعلوا الآخرة نصب أعينهم، فكان تفكيرهم واهتمامهم دائر حول هذا اللقاء مع رب العالمين، {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ} فيشغلهم هذا اللقاء {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

فالذين يستعينون بالصبر والصلاة قوم قد امتلأت قلوبهم بالإيمان بلقاء الله، وثبت هذا الإيمان في قلوبهم وأصبح عظيما شاغلا لهم، وقد كنا فيما مضى من لقاءات قد ظهر لنا من هؤلاء الذين يستعينون بالصبر؛ أصحاب عقيدة عظيمة، الذي يستعين بالصبر لا بد أن يكون صاحب عقيدة عظيمة في الصبر لأن الصبر إنما هو ناتج عقيدة في الله وناتج حسن ظن به عز وجل، فيكون هذا الإنسان صاحب اعتقاد سليم، ويكون عنده همة عالية، وعنده أنفة وحمية من الوقوع فيما يشينه عند ربه، يستحي من الله، يستحي أن يفقد الأمل ونعم الله عز وجل عليه عظيمة،

ويستحي من اللقاء لما يلاقي ربه الذي أحسن إليه، ربه الذي كان معه، يستحي منه فيصبر ويحتسب وهو معتقد في صبره هذا أنه إلى ربه راجع، وأن هذه الأمور كلها التي تحيط به لا بد أنها ستنتهي، فيكون عنده هذا الصبر مبني على عقيدة سوية وفيه شجاعة عظيمة.

يساعد على هذا الصبر الذي هو ناتج عن اعتقاد، الذي هو دواء لأن الصبر أعظم أخلاق النفس، الذي يساعد على هذا الصبر أعظم أعمال البدن:

- {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ} هذا أعظم أخلاق النفس.
- {وَالصَّلَاةِ} هذه أعظم أعمال البدن.

فإذا كان الاعتقاد في الله قوي أن الإنسان ملاقٍ ربه وأنه إليه راجع انتفع جدا بصلاته؛ لأن الصلاة نموذج من اللقاء برب العالمين، فالإنسان الذي يصبر ويحتسب، وأول ما يصاب بمصاب يفزع لرب العالمين، هذا سيكون حاله كمن يمد آلته بالطاقة، لأن الصلاة كأنها الزاد لهذا الصبر.

رب العالمين أمرنا بالاستعانة بالصبر، الذي هو عقيدة، وهي أعظم أخلاق النفس، والصلاة الذي هو عمل، وهؤلاء العملين، الصبر والصلاة كبيرة لكن على الخاشع ليست بكبيرة، لأن عنده أمرين:

١- يظن أنه ملاق ربه.

٢- ويظن أنه راجع إلى ربه.

وهذا ليس تكرار وإنما هذا بيان لحالتين تظهر في الصبر وتظهر في الصلاة.

نود أن **نعرج على معنى الخشوع** لأنه سيفيدنا جدا في معرفة الطرفين، التي هي الصبر والصلاة من جهة، ومن جهة أخرى {يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

والخشوع في اللغة يدل على الانحناء والسكون، أرض خاشعة يعني منخفضة، ويقال عن السنابل التي في الحقول خاشعة إذا امتلأت السنابل حبًّا، وأصبحت ثقيلة تصبح خاشعة منحنية لأنها تحمل في داخلها هذا الرزق، وكلمة خشوع مناسبة جدا لهذه الحال، **المؤمن سيحمل عقيدة عظيمة، هذه العقيدة العظيمة هي التي تجعله منكسرا ذليلا، هذا الخشوع بالمعنى التعبدي.**

هذا الخاشع الذي امتلأ وجدانه بالإيمان سيظهر هذا الخشوع في صلاته، لما يقف يصلي يشعر بأنه منكسر بين يدي الله، ويشعر أنه يدخل حالة جديدة في الحياة، ويشعر أنه يتغير وجدانه لما يفزع إلى هذه الصلاة، فيخرج من الصلاة بقوة قلب تعينه على الصبر.

الصبر من باب الاعتقاد والصلاة من باب الأعمال التي يظهر فيها الإيمان، فهو أول ما يواجه صعوبات يطلب من نفسه أن يكون شجاعا، شجاع بالطبيعة البشرية أو شجاع بيقينه بالله وحسن ظنه بالله، وثقته أن الأمر بيد الله وأن الله يخرج الإنسان من الأزمات، وأن هذه الأزمات اختبارات؟ الإنسان يكون صابر بالعقيدة التي في نفسه.

ما الذي يزيد هذه العقيدة ويجعلها تنفعل أكثر وتجري في دماء الإنسان وتغير من تفكيره؟

الصلاة، فهو يكون شجاعا ويتصبر، ثم يفزع إلى الصلاة ليزداد وقت لقاء الله، يزداد بعد مناجاة الله، وبعد ملاقاة الله، وبعد الوقوف بين يدي الله، يزداد قوة إلى قوته، فالإنسان الخاشع الممتلئ عقيدة، مثل في اللغة السنابل الخاشعة التي تكون ممتلئة حبا فتخشع؛ أي تميل، الإنسان الخاشع ممتلئ عقيدة صحيحة وحسن ظن بالله، لذلك هو أمام المواقف شجاع الشجاعة الإيمانية وليست الجبلية، وإن كانت الجبلية تساعده لكن المراد هنا الإيمانية التي هي ناتج عقيدة.

لتزداد هذه الشجاعة الإيمانية يفزع إلى الوقوف بين يدي الله، يطلب الله، يسرع إلى لقاء الله؛ إذا أسرع إلى لقاء الله، وناجى الله وكلّم الله في الفاتحة، وكلّمه الله، أجاب عليه، هذا كله في عقيدته،

ومتيقن أنه إذا قال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، أجاب الله عليه:(حمدني عبدي، أثنى علي عبدي، مجدني عبدي، هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)، فيجد أن راحته في لقاء الملك المتصرف في كل شيء.

أي شيء أزعجك اهرب إلى الله وقِف بين يدي الله، لذلك النبي ﷺ كان يقول "وجُعِلَت قُرَّةُ عَيني في الصَّلاةِ"، النبي ﷺ كان يفزع إلى الصلاة في كل حال تمر عليه وتشتد عليه ﷺ يفزع إلى الصلاة لأنها فيها لقاء الله، فإذا وقف بين يدي الله وقرأ الفاتحة، وقرأ ما يتيسر من كتاب الله تجدد العهد بينه وبين الله، وأصبحت الدنيا صغيرة لأنه بين يدي من يملك الدنيا والآخرة، لأنه بين يدي الملك العظيم، الذي كل أمر إليه يعود، وكل شان إنما يحكم به رب العالمين، لذلك النبي ﷺ جُعلت قرة عينه الصلاة، يعني تقر عينه؛ أي تهدأ، يشعر بالطمأنينة، الصلاة يخرج منها الإنسان-إن كان منكسرا ذليلا لله- يخرج منها متبصرا، تتفتح بصيرته، ويعرف أن معه ربه، وأن أي أمر يفزعه، ربه يدفعه عنه، وأنه مهما كان من شيء فإن رحمة الرحمن تجعل الشيء العظيم مليء بالرحمات والبركات، الشيء الذي نشعر أنه غاية في الألم، يجعله الله عز وجل بردا وسلاما، فإذا أصابه ما يفزعه يفزع إلى مالك الملك، فيجد السكينة بمجرد إقباله على الصلاة، عند الفزع لا يستسلم، بل يفزع إلى الصبر المبني على عقيدة حسن الظن بالله، وإلى لقاء الله في الصلاة، ويناجي الله،

ويُعبّر عن انكساره وذلّه بين يدي الله، ويشتكي إلى الله ويحتمي بحماه، ويُسكّن فؤاده من المخاوف بمعرفة الله، وبكلام الله الذي يتلوه في القرآن، فيجد الشفاء ينزل على القلب من عند أن يشرع في تكبيرة الإحرام، إذا حصل هذا وهو غاية في الذل وغاية في الانكسار وغاية في الإقبال على الله مستعينا به، فسيجد نفسه قد تخلص من تعظيم المخاوف؛ لأن المخاوف إذا أكثرت التفكير فيها وأكثرت إعادتها وزيادتها على نفسك تعظُم حتى يصبح الإنسان تحتها مرهون، وإذا أحسنت الظن بالله وقلت تمر كما يمر غيرها، فيكون هذا قوة من عند الله، ثم إذا زدت على ذلك ودخلت فزِعا إلى الصلاة وتركت وراءك المخوفات وأنت تناجي الله وتعرف أنك بين يدي الله، فمهما كان من شأن فإن الثقة بالله تنزل سكينة على قلب المؤمن، وهذا مطلب عظيم، وخصوصا لو قرأ الإنسان القرآن وهو ممتلئ بمعرفة الرحمن.

تصور أن قوما يُبَيّتون لك ما يبيتون من الكراهية، ومن الكيد وجاءك خبر عن ذلك، ثم أنت تقرأ في القرآن، {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ} ويأتيك الدواء {فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا}[1] أي دواء هذا سبحان الله! رب العالمين يقول لك لا تهتم بهم وبما يبيتون، {وَاللَّهُ يَكْتُبُ مَا يُبَيِّتُونَ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا} أي دواء هذا الذي يجعل الإنسان في غاية

---

(١) [سورة النساء:٨١]

من الهدوء، لأن الله وكيله؛ توكل عنه في جلب مصالحه ودفع المضار عنه، فأي طمأنينة هذه التي ستأتي للإنسان، لذلك الفزع للصلاة يتضمن أن يقرأ الإنسان القرآن، ويسمع من أوصاف الله ما يزيده إيمان، يزيده يقين.

تصور أنك تقرأ {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ}[1] الله له ملك السماوات والأرض فماذا سيكون من هؤلاء؟ لن يكون شيء، إذا الله له ملك السماوات والأرض إذن فلنطمئن، ما يتصرف فيهما إلا من يملكهما، وهؤلاء مهما كادوا لن يكون لهم نفاذا لكيدهم، يقول الله عز وجل {وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا}[2] ألا تطمئن لما يقول لك رب العالمين أنه أعلم بعدوك، وكفى به وليا وكفى به نصيرا؟ وهكذا يعالج القرآن كل شأن يحصل عند الإنسان فيه أزمة فيكون الفزع إلى الصلاة، وقراءة القرآن في الصلاة مما يزيد طمأنينة الإنسان، ومما يزيد يقينه بالله، وما أطيب هذه السكينة التي تنزل على العبد لما يزداد معرفة بالرب سبحانه وتعالى.

---

(١) [سورة البقرة:١٠٧]

(٢) [سورة النساء:٤٥]

من هذا يتبين أن {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} هذه جملة تفسيرية تبين وتشرح لنا الخاشعين، فهؤلاء أهل الخشوع يقفون في الصلاة يلاقوا رب العالمين، فيجدون في نفوسهم حلاوة الصبر، ولذة الصلاة، لأنهم يشعرون أن هذه الصلاة لقاء مع الله، ثم يفهمون، أنت هنا في الدنيا تقف بين يدي الله مصليا بين يدي الملك العظيم، ربك الذي رباك بنعمه، فليس الوقوف بين يديه مثل الوقوف بين يدي غيره. الناس يشعرون بالعزة إذا جلسوا مع أصحاب الجاه والمكانة، فإذا فكر الإنسان في حقيقة الصلاة وجد أن الله العظيم الذي يدعو خلقه للقائه في الدنيا قد أنزل هذا المؤمن أعظم منزِل لما سمح له في كل وقت أن يطرق بابه، فيفتح له الباب، ويخاطبه ملك الملوك.

فإذا هذا الأمر شغلك في الدنيا؛ الوقوف بين يدي الله، سيأتي وراءه ذاك الموقف العظيم بين يدي رب العالمين، وهو الأهم والأخطر والأعظم، وهذا يكون بعد الموت أهم المهمات ما يكون عليه العبد وقت ملاقاة الرب عز وجل، فلما هنا تصبر وتفزع إلى الصلاة، وتشعر بعبوديتك لله وتشعر أنك مملوك ليس لك من الأمر شيء، وتشعر أن الأمر كله بيد الله فتفوّض أمرك إلى الله وتدفع عنك الأحزان بالثقة في الرحمن، كل هذا سينفعك لما تلقى الله، إذا أقبلت عليه مصليا هنا، تقبل على الله الذي هو خالقك، تعبده وأنت تعلم أنه يعلم سرك وعلانيتك، وماضيك وحاضرك ومستقبلك، تقبل

عليه وأنت غاية في الحاجة إليه، والعبد يعظُم مكانه عند رب العالمين كلما زاد إظهار فقره لله، وكلما استسلم لله، فأنت الآن لما تفزع إلى الصلاة وأنت خاشع وتعلم أن الأمر بيد الله، وأنه لا يحدث شيء في كون الله إلا بأمر الله، وأن الله الحكيم هو الذي يقدر الأقدار، وأنه آخذ بناصية كل أحد وكل أمر، فتقترب المسافة منك إلى الله هنا في الدنيا، ثم يكون هذا الشأن العظيم يوم القيامة.

إذن هذه هي الصلاة التي تكون زاد للإنسان تعينه على الصبر فيكون الصلاة كأنها زيادة القوة في الصبر، فيعيش الإنسان وهو ينتظر الفرج، ويطرق باب الرحمة بالصلاة، فكل مرة يأتي إلى الصلاة طارقا باب الله مستمطرا رحمات الله، وفي كل ركعة يقول {رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}.

فهؤلاء {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ}: في الدنيا يلاقونه في الصلاة، ويزدادون يقينا أن الأمر أمر الله، ثم بعد الموت يلاقون ربهم وقد عرفوه في الدنيا، علموا أنه رب كل شيء ومليكه، ومرت عليهم المواقف فزادتهم معرفة بالله، لذلك {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}[١] ، هم هؤلاء أهل الخشية، كلما ازدادت معرفتك بالله زدت خشية لله، فنفعك الصبر لأنه ناتج عن اعتقاد، ونفعك الفزع إلى الصلاة لأنه لقاء بينك وبين الله، فلما يحصل هذا ويجد الإنسان نفسه يصبر وهو واثق أن فرج الله قريب، ويصبر وهو

(١)[سورة فاطر:٢٨]

ينتظر أن يُكتب هذا الصبر في حسناته، ستجده يستلذ الصلاة لأنها موطن نزول السكينة والرحمات، ويستحلي الصبر لأن له ثقة بأن وراءه الفرج والفرح والسرور، فتعَرَّف إلى ربك تكن خاشعا، هذا {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ}.

نأتي إلى {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}، لما نسمع قوله تعالى {الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}؛[1] هذا تأكيد لأمر مهم وهو أن هذه المصائب مهما عظمت أين سيكون مكانها؟ وما آخرها؟ في الدنيا! هذه كلها مهما كان شأنها فهي لا استمرار لها، وإنما سنرجع إلى الله، وهناك الأمور الأصعب والأعظم، هناك الحساب وهناك حصول الفزع وهناك الصراط، هناك الصحف تتطاير، فإما باليمين وإما بالشمال، نعوذ بالله من الخيبة والخسران.

{وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} يزداد الصبر لما يشعر الإنسان أن هذه ليست نهاية الأمور، مهما كان الذي أصابني من كونه صعب وعظيم لكن وراءه يوم لقاء الله، لما نرجع إلى الله سيكون هناك ما هو أعظم. فإذا أحسن الإنسان في هذا الذي بينه وبين الله وصبر سيكون النتيجة أنه ينتفع بذلك لما يرجع إلى الله، ينتفع بذلك لما يأتي الفزع العظيم فيكون هو من الآمنين، فقد اعتاد الفزع إلى الله بالصلاة، ولقد اعتاد حسن الظن بالله.

---

(1) [سورة البقرة:١٥٦]

عندنا جملتين في وصف هؤلاء الخاشعين:

١- {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ} هنا يظنون بمعنى أنهم متيقنين بلقاء الله، وأنه سيكون بينهم وبين الله لقاء يكلمهم فيه الله ليس بينه وبينهم ترجمان، هذا المعنى الأول لصفتهم أنهم خاشعين، أنهم يظنون أنهم ملاقوا ربهم، سيحصل بينهم وبين الله لقاء، يكلمهم الله ويكلمون الله، هذا يُسهل عليهم أمر الصلاة، فيستعينون بالصلاة لأنهم يظنون أنهم ملاقوا الله.

٢- والأمر الثاني {وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}: يعني يعتقدون يقينا بالرجوع إلى الله الذي فيه ما فيه من الأهوال، وفيه ما فيه من المصاعب، ولا ينجو في ذلك إلا أهل الإيمان، فيكون الإنسان على يقين بالرجوع من الدنيا إلى الآخرة، وأن في هذا الرجوع يكون له لقاء مع الله، فإذا كان هذا على باله سيهمه جدا أن يكون متأنقا غاية الأناقة لما يلاقي الله، ولما يكون على باله أن هناك رجوع وأن هذا ليس منتهى الأمور، وأن هذه المصاعب لا شيء في المصاعب التي سيستقبلها تهون الأمور، فالإنسان مهما بلغت به الأحوال فليكن واثقا بالرحمن، شجاع في مواجهة الصعوبات شجاعة إيمانية فيها حسن الظن بالله، وليزيد هذه الشجاعة بالوقوف بين يدي الله ولقاء الله في الدنيا بالصلاة وتلاوة القرآن والتأمل في معانيه داخل الصلاة، فتنزل السكينة على الإنسان ويزداد بشرى وسعادة وانشراح صدر،

ومما لا بد منه لينفع هذا الدواء أن يكون الإنسان خاشع، وعرفنا معنى خاشع، الخشوع يكون الميل والانكسار، ولا يحصل ميل وانكسار وذل من الإنسان لرب العالمين إلا إذا كان ممتلئا معرفة بالله وإيمانا، مثل السنبلة، كما مر المثل.

هذا الخاشع ما الذي يجعله منكسرا بهذه الصورة؟ كما تبين هذان الموضوعان؛ **أن يكون مستعد للقاء الملك العظيم**، يظن أنه سياقي الله فيسأله ويكلمه الله، فلا يريد أن يذهب إلى الله ويكلمه الله ثم يظهر في تاريخه سوء ظن بربه، جزع من ابتلاءاته، قلة شكر في وقت الشكر، التفات عن الله، لا يريد أن يصل وتكون هذه حالته. والأمر الثاني أنه **دائما يقدر الأمور ويفكر فيها**؛ هل الذي أنا فيه من مصاب الدنيا هو نهاية الأمور؟ أو أن هناك ما هو أصعب؟ فيقول لما نرجع عند الله هناك أمور كثيرة أصعب، هذا الذي أنا فيه هل ينفعني لما أرجع إلى الله؟ هل هذه الصعوبات التي أتصبر عليها ستنفعني وقت الرجوع؟ فيكون الجواب نعم، الدنيا ليست نهاية المطاف، أنت سترجع على الله، ولما ترجع إلى الله هناك أناس يهون عليهم اللقاء وهناك أناس يصعب عليهم اللقاء، فهذا مما يعين الإنسان غاية الإعانة للوصول إلى هذا الدواء العظيم الذي هو الصبر والصلاة. وهذا هو الموطن الأول كما مر معنا وناقشناه في سورة البقرة وهو قوله تعالى {وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}.

وفي كل اللقاءات الماضية كنا نؤكد على مسألة الصبر وأنها عقيدة وأن الإنسان ينظر للصبر على أنه مادة للحياة وأن الدنيا لا يمكن أن تسير إلا به، والموطن الأول الذي هو في آية (٤٥) من سورة البقرة كان **في سياق الكلام مع اليهود** الذين جاءهم الرسول ﷺ بأمر الله، وسينتقل شرف الكتاب والنبوة منهم إلى النبي ﷺ وإلى العرب، وكم في النفس من أمور تمنع من اتباع الحق في تلك اللحظة من نصرة النفس، وأمور من هذه التي نعلمها وتكون في النفوس، فأرشدهم رب العالمين إلى العلاج الذي يمكن أن يعالجون به أنفسهم، أن يستعينوا بالصبر والصلاة وأن هذا الشيء كبير جدا إلا من كان خاشعا ممتلئا إيمانا والخاشع هذا له صفة.

الموطن الثاني الذي فيه الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة هذا أيضا في سورة البقرة في الآية (١٥٣)؛ **والخطاب في الموطن الثاني إنما هو لأهل الإيمان، وكان في سياق الكلام عن تحويل القبلة** وعن موقف السفهاء الذين يريدون أن يشوشوا على أهل الإسلام دينهم، فأمرهم رب العالمين بأن يستعينوا بالصبر والصلاة للثبات على الدين.

نلاحظ أنه:

- في سياق خطاب بني إسرائيل والله أعلم بضعف عزائمهم عن عظائم الأمور، قال لهم {وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ}

لكن لما أشار إلى المسلمين بيَن عز وجل أن هؤلاء أصحاب العقيدة السليمة الذين درجوا على الإيمان وكانوا يزدادون إيمانا بمصاحبة النبي ﷺ وباتباع ما أمرهم به رب العالمين، ما ذكر هنا أنها كبيرة، بل بيّن عز وجل إلى ما ييسر عليهم هذا الصعب، وكأنه فيه إشارة إلى أنهم هم الخاشعون الذين سيحصل منهم الاستعانة بالصبر والصلاة،

لما هناك قال عز وجل أن الصبر والصلاة كبيرة إلا على الخاشعين، كأنه هنا الإشارة أن هؤلاء أهل الإيمان، أهل العقيدة الصحيحة، المتبعين لرسول الله هم أهل الخشوع فبشرهم عز وجل بأنهم ممن يمتثل الأمر، لذلك قال الله عز وجل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ} وهؤلاء قوم يهمهم أن يكون الله معهم، يهمهم أن يرضى الله عنهم، فرب العالمين يقول لهم اصبروا ليكون الله معكم لأنه مع الصابرين. فما أعظم غُنم المؤمن لما يستعين بالصبر والصلاة فيكون معه الله.

والصبر والصلاة أجود ما يستعان به على تحمل البلاء في سبيل الله، وفي الحديث كما هو معلوم ومشهور أن النبي ﷺ «كان إذا حزَبَهُ أمرٌ صلَّى»[1]

([1]) الراوي: حذيفة بن اليمان | المحدث: الألباني | المصدر: صحيح الجامع الصفحة أو الرقم: ٤٧٠٣ | خلاصة حكم المحدث : حسن

- ✓ والصبر والصلاة أعظم عون لكل من تولى شأن مثل شأن التربية وشأن الإرشاد، وشأن الإصلاح؛ إصلاح نفسه أو إصلاح غيره.
- ✓ الصبر والصلاة أعظم عون لمن أراد حفظ القرآن.
- ✓ الصبر والصلاة أعظم عون لمن أراد أن يتصدق ويزكي ويقوم بأعمال عظيمة في حياته.
- ✓ الصبر والصلاة أعظم ما يساعد الإنسان على تخطي الأذى من الخلق، والله عز وجل قد أمرنا بذلك {وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ}[1] ،ويقول لنبيه {فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ}[2].

فالله عز وجل وهو الأعلم بما يصلح نفوسنا قد داوانا بهذا الدواء، فكل من أراد أن يقدم على المهمات العظيمة، وكل من أراد أن يكون له مجد في السماء وآثار في الأرض يُرفع بها ذكره في السماء فليستعن بالصبر والصلاة، من أراد أن يصلح نفسه، من أراد أن يصلح مجتمعه، من قدِم على أمور عظيمة فيها آثار عظيمة فلتكن الاستعانة بالصبر والصلاة هي الطريق لذلك.

اللهم أعنا يا رب العالمين على أن نتداوى بأدوية القرآن، وكن معنا يا رب العالمين واجعلنا من الصابرين المستعينين بالصبر والصلاة، على إصلاح أنفسنا وإصلاح مجتمعنا، وعلى القيام بما يجب علينا،

---

(١) [سورة هود:١١٥]

(٢) [سورة طه:١٣٠]

أنت وحدك المعين، والحمد لله رب العالمين. نكون بهذا قد انتهينا، بفضل الله، من هذه السلسلة نسأل الله عز وجل أن ينفعنا بما سمعنا.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته